



APHORISME

Journal of Arabic Language, Literature, and Education

Vol. 2, No. 1 (2021) E-ISSN 2722-6794; P-ISSN 2722-6786

Aphorisme@insuriponorogo.ac.id

Homepage: <https://ejournal.insuriponorogo.ac.id/index.php/Aphorisme>

التعايش الثقافي والحضاري بالمغرب: مقارنة اجتماعية

Youssef Ben-Naouar

Sidi Mohammed Ben Abdellah University, Morocco

Email eng.you1987@gmail.com

ARTICLE INFO

Received

28 November 2020

Review

6 January 2021

Revisions

14 January 2021

Copyedit

31 January 2021

Published

1 February 2021

ABSTRACT

This study aims to describe the culture and civilization in Morocco in the context of sociology. This research method is qualitative-descriptive. The research data were obtained from literature that describes the culture and civilization of the Moroccan state. The data collection technique is done with documentation. Meanwhile, data analysis was carried out by data reduction, data classification, and data interpretation. The results of the study found that the existence of civilization and culture in Morocco cannot be separated from the social, linguistic and religious context. In a social context, for example, Morocco has various kinds of cultures. This is motivated by the existence of heterogeneous tribes and communities. In the context of language, Morocco uses Arabic as the national language, but many people adopt Arabic 'Amiyah in their speech acts. Then in the context of religion, several religions in Morocco are found, such as Islam, Judaism, Christianity, and other religions.

Keywords;

Culture, Civilization, Morocco

المقدمة

التنوع الثقافي خاصية جميع مجتمعات العالم حيث لا نكاد نجد مجتمعا أو بلدا يتوفر على تجانس ثقافي أو لغوي أو ديني مطلق حيث يطبع التنوع كل مناحي الحياة البشرية في اللسان والعادات والتقاليد والمعتقدات وغير ذلك. كما يفيد التنوع الثقافي الاختلافات القائمة بين المجتمعات الإنسانية في الأنماط الثقافية السائدة فيها و يتجلى هذا التنوع من خلال أصالة و تعدد الهويات المميزة للمجتمعات التي تتألف منها الإنسانية. لهذا فمسألة التعايش الثقافي هي لصيقة التنوع كما أن التعايش لا يكون إلا بين المتعددين والمختلفين (شكيرب 2020). فنحن الآن في هذا القاعة جمهور متجانس في أبعاد معينة ومتنوع في أبعاد أخرى نعيش في فاس عاصمة المغرب العلمية ونعيش في المغرب احدى بلدان الوطن العربي ونعيش في العالم العربي الذي هو جزء من العالم الاسلامي الذي بدوره جزء من العالم هكذا نحن أجزاء ضمن كل غير متجانس يحكمه قانون الاختلاف



والتعدد وهو سنة كونية لا يمكن تبديلها انطلاقاً من قوله تعالى في سورة هود "وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّجِمَ رَبُّكَ وَلَئِنَّكَ خَلَقَهُمْ" (YDSF, 2011)

من خلال هذا المعطى العام الذي يؤطر خاصية التنوع الطبيعي لبني الإنسان والذي يستلزم حضور التعايش لتجنب الصراع الذي يولده هذا الاختلاف أريد أن أشير أن الموضوع الذي سأطرحه بين أيديكم هو موضوع شاسع الروافد لهذا فقد اقتصرنا على ثلاثة أبعاد رئيسية كمدخل عام لمسألة التعايش الثقافي المغربي ونظراً لضيق الوقت فقد قسمت محاور هذا العرض إلى ثلاثة أبعاد البعد الديني البعد السوسولوجي والبعد اللغوي.

منهج البحث

هذا المقال يدل على البحث التحليلي. البيانات الأولية تصدر عن المقالات عن هيئات التعايش الثقافي والحاضري بالمغرب. ويليهما البيانات الثانوية كالأدوات والأمور المتعلقة بها في سائر الكتب الحاضرة. وطريقة مجموعة البيانات وهي التصميم أي جمع البيانات في لسان الثقافي والحاضري ثم تحليل البيانات بجمع البيانات وتحليلها وتطبيقها في إصدار البحث.

المباحث

تعتبر كل التنوعات الثقافية عن الهوية الواحدة الموحدة. وتصب كل الثقافات الفرعية في الثقافة الوطنية الواحدة بعيداً عن أي اختلاف إثني أو عرقي فمؤدج المغرب مثلاً يمثل عنصراً واحداً من أصول متعددة أهمها الأصلان العربي والأمازيغي بعيداً عن منظور العولمة الثقافية.

أما المكون الرئيسي الذي يؤطر هذا التنوع فتعتبر الثقافة إحدى مقومات الهوية بالنسبة لأي مجتمع. وتتشكل من المكونات الروحية والفكرية والأدبية والفنية التي تختلف من مكان لآخر أما التنوع الثقافي فيهم اتساع الثقافة البشرية بسمة التنوع والاختلاف. و ذلك أن الحضارة الإنسانية منقسمة إلى فعاليات متنوعة تتمثل في تنوع وتعدد المعتقدات وقواعد السلوك واللغة والدين والقانون وكذلك الفنون التقنية العادات والتقاليد الأعراف النظم الاقتصادية والسياسية (سعيدة، ٢٠١٨).

إن الاختلاف من حيث هو ظاهرة عامة جعلها الله عز وجل سنة في خلقه وآية يظهرها في جميع مخلوقاته كما يقول تعالى "ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات لقوم يعلمون" (YDSF, 2011).



ويمكن القول إن المغرب يعتبر نموذجا متميزا لهذا التنوع الثقافي. و ذلك أن تاريخه الزاخر وتراثه العريق مستوحيان من ينايع مغربية أصيلة وروافد متداخلة متعددة وإن اختلفت مصادرها وينابيعها وتباينت لغاتها وألسنتها من عربية وأمازيغية وحسانية وعبرية في فسيفساء متناعمة منسجمة ومتلاحمة من جهة أسندتها العديد من النصوص والوثائق وأمّات الكتب والمخطوطات والأشعار والآداب والفنون والعلوم التي أبدعها كتاب فلاسفة علماء وشعراء ومؤلفون مغاربة متنوعو المشارب الثقافية أقاموا واستقروا أو ولدوا وترعرعوا في هذا الربع الأقصى من الشمال الإفريقي. هذا دون أن نغفل المعالم التاريخية والمآثر العمرانية والقلاع الحصينة والدور والقصور ودور العبادة والبساتين والحداثق الغناء فضلا عن العادات والتقاليد المغربية الحميدة التي تأصلت في أعراف وذاكرة الشعب المغربي في مختلف مناحي الحياة. هذا التنوع أثرته روح اجتماعية واحدة أساسها التعايش والترابط المشترك والائتلاف ونفي الإقصاء والتهميش مما أكسب المغرب غنى ثقافيا متنوعا سواء أكان لغويا أو قبليا (المؤلف، ٢٠١٧). فكما هو معروف فالمغرب يعد من البلدان التي عرفت تلاحقا على مستوى الثقافات بحكم موقعها الجغرافي وكذا تداخلاتها التاريخية على المستويات السياسية الاقتصادية والامبريالية التي جعلت منه مرتعا لتجانس حضاري متعدد لازمه طوال الزمن.

وتتسم الهوية المغربية بأربع خصائص: جغرافيتها الإفريقية أصلها الأمازيغي ثقافتها العربية - الإسلامية - الأمازيغية وتطلعها إلى الحداثة بالانفتاح على اللغات الأجنبية كالفرنسية والإسبانية والإنجليزية. لهذا كان من المفروض البحث عن اطار يحتوي هذا الاختلاف وخلق تعايش بين هذه الثقافات المتعددة. فكان للإسلام وقع كبير في تأطير هذه المجتمعات انطلاقا من توجيهاته وأهدافه في خلق التعايش بين المجتمعات. هذا وقد قمت في هذا الاطار بإعطاء ثلاث مقاربات في مسألة التعايش الثقافي بالمغرب:

١. المقاربة السوسولوجية

أ. بلد متعدد الإثنيات. المغرب بلد متعدد الأعراق والإثنيات وهو يزخر بثقافة متنوعة وحضارة ثرية. تمتد جذورها في عمق تاريخه الطويل بالإضافة إلى سكّانه الأصليين من الأمازيغ البربر. فقد توافدت عليه العديد من الهجرات المتوالية القادمة من المشرق ومن جنوب صحراء إفريقيا ومن الشمال. وكان لكلّ هذه المجموعات والفئات البشرية أثر كبير على التركيبة الاجتماعية للمغرب التي عرفت معتقدات سماوية منذ أقدم العهود كاليهودية والمسيحية ودين الإسلام. ولكلّ منطقة من المناطق المغربية خصوصياتها التي تميّز بها عن سواها من المناطق الأخرى. وقد أسهمت هذه الخصوصيات في صنع فسيفساء الثقافة المغربية. ووضع الإطار المتميّز والمتنوّع للإرث الحضاري المغربي الذي أصبح ذا طابع معروف في العالم أجمع.



يرى البعض أنّ المغرب يعتبر دولة أمازيغية-عربية. ويصرّ آخرون بإلحاح على الهوية الأمازيغية - الإفريقية للمملكة المغربية. ويعترف العديد من المغاربة بالهوية الأمازيغية للبلاد انطلاقاً وتأسيساً على اللغة والعرق والجنس والعادات والتقاليد والثقافة. كلها من مكونات الهوية التي تميّز كلّ منطقة عن أخرى. فعلى الرغم من أنّ الأمازيغ البربر قد اعتنقوا الإسلام وتعلموا اللغة العربية وأجادوا وألفوا وأبدعوا فيها إلا أنهم صانوا وحافظوا على إرثهم الثقافي المتواتر من خلال تقاليدهم لغتهم عاداتهم أمثالهم حكمهم فنونهم وعوائدهم التي يتباهون ويتغنون فيها بالحياة الكريمة الحرية والكرامة.

ويعد المغرب بلداً غنياً من حيث تنوعه الثقافي واللغوي منذ أقدم العصور حيث تفاعلت في إطاره حضارات عريقة تعاقبت على أرضه كما شهد موقعه الجغرافي المنفتح على العمق الإفريقي وعلى البوابة المتوسطية وعلى الشرق الأوسط وأوروبا تفاعلاً حضارياً كبيراً بين مكونات عديدة ساهمت جميعها في تشكيل حضارته وشخصيته الثقافية المتعددة.

ففي التاريخ القديم لشمال إفريقيا تفاعل الأمازيغ مع بعض الشعوب الإفريقية وشعوب حوض البحر الأبيض المتوسط التي برزت في فترات معينة على مسرح الأحداث مثل الفينيقيين والقرطاجيين والرومان والوندال ثم البيزنطيين كما تفاعلوا مع العرب في المرحلة الإسلامية ومن خلال ذلك مع الحضارات الشرقية مما سمح بتشكيل معالم للتنوع الثقافي واللغوي في المغرب حيث رصد جوانب التأثير والتأثر التي تجلت بالخصوص في اللغة الأم للسكان الأمازيغ والتي تفاعلت مع اللغات الأخرى الوافدة ونتج عن ذلك لغات جديدة وسيطة مثل الدارجة المغربية التي هي نتاج تفاعل اللغتين الأمازيغية والعربية مما ميز المغرب بتنوع لغوي وثقافي ساهم في إثراء هويته وتعددتها وتميزها وإذا كان هذا التنوع قد ظل مجهولاً ومهمّشاً لعقود طويلة بعد الاستقلال فإن دستور يوليو ٢٠١١ قد أقرّ مختلف مكونات التنوع الثقافي واللغوي المغربي وأكد على ضرورة احترام هذا التنوع والتعدد الهوياتي والمحافظة عليه. كما عرف المغرب توجهات سياسية إيجابية بعد ما نص الدستور الجديد على إحداث مجلس وطني للغات والثقافة المغربية والذي سيهتم بحماية وتنمية مقومات الهوية الوطنية العربية والأمازيغية والحسانية والروافد الإفريقية والأندلسية والعبرية والمتوسطية إضافة إلى العناية بالتراث والإبداع (دويّة & نفيسة، ٢٠١٥).

ب. الثقافة الشعبية. تتسم الجغرافية الثقافية المغربية بتعدد مشاربها ومنابعها الثقافية الضاربة في القدم وهي هوية انصهرت عبر الزمن لبناء هوية موحدة في التعدد. فالثقافة الشعبية تمثل مجالاً متعدد والمختلف في شخصيتها الوطنية حيث يتميز المغرب بانفتاحه على الثقافات التي احتك بها تاريخياً في



علاقة حوارية تقوم على الانفتاح والاستيعاب والتعايش داخل بوتقة تنصهر فيها كل المكونات العربية والأندلسية والأمازيغية واليهودية المغربية والمكونات الأفريقية الصحراوية والمتوسطية (محمد جودات, ٢٠١٢).

للثقافة الشعبية المتوارثة وقع عميق على مسألة التعايش الثقافي في المغرب حيث أن كل الأشكال الحكائية الفرجوية والمسرحيات تعطي انطبعا واضحا على أن المجتمع لا يقبل العنصرية بل ويحاربها إلى أبعد الحدود كما أنه يشجع التعايش بين أبناء هذا المجتمع كيفما كان أصله. بل تنتقل ثقافة التعايش لتلمس الآخر الأجنبي بكل تجلياته المختلفة والمتعددة دون الإشارة إلى الحالات الشاذة التي جاءت عكس هذا السياق - فالشاذ لا يقاس عليه -

ج. الهوية الوطنية. يؤكد الدستور المغربي على أن الهوية المغربية تأخذ خمسة أبعاد وهي: البعد الإسلامي البعد العربي البعد الأمازيغي والبعد الصحراوي الحساني؛ كما أنها تتميز بغنى روافدها وتنوعها الثقافي الإفريقي والأندلسي والعبري والمتوسطي بالإضافة إلى تبوء الدين الإسلامي مكانة الصدارة في هذه الهوية وذلك في ظل تشبث الشعب المغربي بقيم الانفتاح والاعتدال والتسامح والحوار والتفاهم المتبادل بين الثقافات والحضارات الإنسانية جمعاء (المؤلف, ٢٠١٧).

وخلاصة القول أن الشخصية المغربية ليست شيئا آخر سوى الهوية الثقافية المغربية التي لها أربعة أبعاد: البعد الإنساني والبعد الإسلامي والبعد العربي والبعد الأمازيغي وتقوم على ثلاثة مكونات الدين واللغة والتراث وتحمل ثلاثة قيم إنسانية كبرى: الحق والخير الطيبوبة والجمال وتتجسد في ثلاثة مظاهر: الفكر والبطولة والفن (المؤلف, ٢٠١٧).

٢. المقاربة اللغوية

يشكل موضوع الازدواجية اللغوية في الفضاء العمومي بالمغرب إضافة نوعية للتراث الثقافي المحلي حيث تعبر اللغة العربية واللغة الأمازيغية الازدواجية اللغوية التي تترجم الوضع اللغوي الطبيعي بالمغرب أيضا ساهم هذا التميز والتنوع اللغوي والثقافي الذي طبع تاريخ المجتمع المغربي في إغناء الثقافة المغربية في جو من التعايش لمختلف مكوناتها المشكلة لوحدة المجتمع المغربي في إطار من التواصل اللغوي والثقافي. فاللغة هي أكثر من أداة اتصال فهي ليست جماعة لذاكرة المعاني والتصورات من أجل تجارة الحديث والكتابة فقط بل هي مسكن الكينونة الروحية والحضارية للأمة. وبالتالي فالإشكالية اللغوية ترتبط بالإشكالية الكبرى للصراع الحضاري وإشكالية الهوية الثقافية والإنسية الوطنية التي تعد اللغتان العربية والأمازيغية إضافة إلى الإسلام أهم مكوناتها (سعدية, ٢٠١٨).



فالتعدد اللغوي مفهوم تُوْطِرُهُ مقارنة كمية تحدد عدد السياقات اللغوية المستعملة في بلد معين. ويمكن وصف التعدد اللغوي بالمغرب في جانبين منفصلين: الأول يهم اللغة الواحدة أي أن العربية تعرف تعددا داخليا يتشكل من خمسة لهجات: العروبية – المدينية- الجبلية- العربية والحسانية. أما الأمازيغية فتتبنى على تعدد ثلاثي الأقطاب: تريفيت – تامازيغت وتاشلحيت. يتعلق الجانب الثاني من التعدد اللغوي بالنسيج اللغوي الذي يحكمه تفاعل لغات (وطنية وأجنبية) مختلفة داخل التراب المغربي: الأمازيغية – العربية – الفرنسية – الإسبانية – الإنجليزية ولغات أجنبية أخرى.

في حين أن المجتمع المغربي يقوم في بنيته اللسانية على الثنائية اللغوية؛ العربية ولهجاتها المختلفة والأمازيغية ولهجاتها المتعددة. فضلا عن ذلك فعلم الاجتماع اللغوي يحدد مفهوم اللغة الوطنية باستعمالها من طرف جماعة لغوية متجانسة وثابتة في مختلف السياقات التواصلية اليومية وليس من طرف أفراد متناثرين في سياقات متباعدة.

بحكم التاريخ والتواصل الدائم بين جميع مكونات الشعب المغربي فقد تم تلاقي الثقافة العربية والتراث الأمازيغي إلى درجة انصهار هاتين الثقافتين إلى حد هائل. ويتجلى هذا الانصهار العميق على مستوى الأدب الشفهي والأدب المكتوب وعلى مستوى الفن والموسيقى حيث يطبع الإيقاع الأمازيغي بصفة مباشرة أو غير مباشرة الموسيقى المحلية والأغنية المغربية بشكل يجعلها مختلفة عن الأغنية العربية في المشرق. ناهيك عن التأثير الهائل للعربية على اللغة الأمازيغية وكذا تأثير هذه الأخيرة على الدارجة المغربية بشكل واضح كما بين ذلك الأستاذ محمد شفيق في كتابه تحت عنوان "الدارجة المغربية مجال توارث بين الأمازيغية والعربية" والذي تم نشره من طرف أكاديمية المملكة المغربية سنة ١٩٩٩.

وينبغي التذكير هنا أن علاقة الثقافتين العربية والأمازيغية عميقة بشهادة التاريخ وقد اتسمت هذه العلاقة دائما بالأخوة والتضامن والوئام والانسجام. وكل المغاربة اليوم سواسية أمام القانون سواء منهم الناطقون بالأمازيغية أو الناطقون بالعربية. ويشكل هذا الانسجام الحاصل بين الثقافتين مصدر افتخار وطني وعلامة وحدة الوطن والمصير.

وفي هذا السياق فإن الاعتراف باللغة الأمازيغية كلغة رسمية هو اعتراف بالتعدد اللغوي والثقافي للمغرب والنهوض بالثقافة الأمازيغية هو إسهام في تكريس دولة الحق والقانون وحاجز أمام كل أشكال التطرف والانغلاق. والمسألة الأمازيغية لا تتم الناطقين بالأمازيغية فقط بل تتم المغاربة قاطبة لأنها بالأساس مسألة حضارية جوهرية تطرح نفسها على القوى والضوائر الوطنية الحية (مختار، ٢٠٢٠).



وسيساهم النهوض بالأمازيغية في التخلص من مخلفات الماضي وفي نشر ثقافة الديمقراطية والتعددية الثقافية والمواطنة والمساواة والتواصل مع كافة المغاربة. فلا ديمقراطية بدون حرية التعبير وحرية الخلق والإبداع. وبهذا يمكننا الانتقال إلى مواجهة التحديات العالمية ومنها تحدي العولمة. إن جميع دول العالم تعطي الأولوية للغاتها الوطنية وتجعلها حاضرة في المرتبة الأولى في فضاءها العمومي كما تستعملها كلغة أو لغات للتدريس. لذلك فإن الدارجة المغربية واللهجة الأمازيغية يشكلان الازدواجية اللغوية التي تعبر عن الوضع اللغوي الطبيعي بالمغرب وبلجاتها المتنوعة على المستويين الجهوي والمحلي. كما أن هذا التنوع والتعدد اللغوي والثقافي هو عامل لإغناء ثقافتنا المغربية وتطويرها وإخراجها من حالة الجمود والانغلاق إلى أفق مفتوح على قيم العصر في تفاعل جدي مع لغات العالم وتدريسها كلغات للتواصل الفكري والثقافي والحضاري المتكافئ الذي خلق جوا من التعايش والاندماج بين هاته اللغات المختلفة.

٣. المقاربة الدينية

حافظ المغرب من خلال مختلف فتراته التاريخية و إلى يومنا هذا على كونه نموذج المبنى على مبادئ التعايش والتسامح حيث كرس هذا المبدأ الدستور المغربي الجديد الذي تمت المصادقة عليه عام ٢٠١١ والذي ينص على أن هذه الهوية "موحدة بانصهار كل مكوناتها العربية - الإسلامية والأمازيغية والصحراوية الحسانية وغنية بروافدها الإفريقية والأندلسية والعبرية والمتوسطية". فحرية المعتقد اليوم يضمنها الدستور المغربي حيث يشمل المعتقد كافة الديانات وكافة الأعراق في إطار من الأخوة والحب والاحترام والتسامح والعفو وحقوق الإنسان والحرية وهي قيم ارتضاها المغرب منذ أمد بعيد ويواصل النهوض بها إلى غاية اليوم و لعل ذلك نابع من تشبث المغاربة بالمذهب المالكي الذي يدعو إلى الوحدة والوسطية و التسامح والانفتاح. أفرد دستور سنة ٢٠١١ مكانة مهمة للمركز الديني والعقدي للهوية الوطنية وتتميز بمجموعة من الخصائص نجملها في الآتي:

أ. حظي المركز الديني العقدي ممثلا في الاسلام بمكانة مهمة في تصدير الدستور من خلال عبارة: «الهوية الوطنية تتميز بتبوء الدين الاسلامي مكانة الصدارة فيها وهي مكانة رمزية لا تتمتع بها باقي المراكز الأخرى للهوية الوطنية وإن كانت لها حظوة الحضور هي الأخرى في ديباجة الدستور. ومعلوم أن تصدير الدستور يكتسي طابعا خاصا بالنظر لكونه الحاضن الأساسي لمراكز الهوية الوطنية وأسسها ومبادئها العامة وترتبط صميمياً بقضايا السيادة والمشروعية.

الحفاظ على ربطه بالمشاغل السياسية حتى أصبح يشكل الهوية الدينية للدولة من خلال عبارتي: "المملكة المغربية دولة إسلامية" "والاسلام دين الدولة".



ب. ويغض النظر عن جانب المشروع السياسية فيه فإنه يساهم وفق هذا المزج في عدم التمايز المطلوب بين الممارسة الدينية كعلاقة عقدية يؤطرها مبدأ الايمان الروحي وبين الممارسة السياسية كعلاقة تعاقدية نسبية مؤطرة وفق آلية العقد الاجتماعي بين الحكام والمحكومين.

ج. انتفاء طابع القداسة عن بنية الوثيقة الدستورية من خلال التحول الملحوظ من مضمون الفصل الثالث والعشرين من دستور ١٩٩٦ إلى مضمون الفصل السادس والأربعين في الدستور الحالي. وهو توجه يرنو إلى نزع طابع القداسة عن الحياة السياسية وكل ما له علاقة بتدبير شؤون المجتمع. وهناك بعض المهتمين من تترأى له المدودية الاجتماعية والسياسية في ربط مضمون الفصل السادس والأربعين بكافة أبواب وفصول الدستور ضماناً لقدر معين من التناغم والانسجام.

د. ميّز الدستور المغربي في ديباجته بين المراكز الأساسية للهوية المغربية. بحيث احتفظ بارتباط الدين الإسلامي بالمكون العربي من خلال استعمال علامة (-) كدلالة على الترابط الأزلي بينهما في الوقت الذي يربط بين الإسلامي وبقية المكونات الأخرى بواو الإضافة

في حين أن الواقع الاجتماعي والثقافي والتاريخي للمجتمع المغربي لا يقر بذلك في كثير من تجلياته. ومن ثم يَكُنُّ الأشكال المطروح في هذا الباب في الالتباس الذي يكتنف تصور مراكز الهوية الوطنية ومكوناتها. لكن هناك كذلك مؤشر حول السماح بالتعددية اللغوية مقابل الحفاظ على مبدأ الوحدة الثقافية باعتبارها منظومة تتقاطع فيها كل تلك العناصر ويظهر هذا الرهان في اسم المؤسسة التي ستعنى بتدبير قضايا التعدد اللغوي والثقافي والموروث الرمزي المغربي بشكل عام التي هي المجلس الوطني للغات والثقافة المغربية (المؤلف، ٢٠١٥).

تجمع هذه الاثنيات المتعددة ثقافة شبه موحدة حيث يدخل الجانب الديني كمؤطر لجل المعتقدات والطقوس المتداولة حتى أن مسألة التعايش في الثقافة الشعبية - وهو محور موضوعنا - يستمد جدوره غالباً من النسق الديني الذي يحث على كل أشكال التضامن مع الآخر كيفما كانت ديانتها أو انتمائه فنطلق الأولوية للإنسان بكل مرجعياته يعتبره الاسلام من أهدافه وغاياته الكبرى.

لعب الدين الاسلامي دوراً مهماً في خلق تعايش بين مختلف الثقافات التي وجدت في المغرب. ولهذا كان التشريع الإسلامي يهدف إلى إقامة مجتمع إنساني مبني على أساس الحوار والتعارف والتعاون على الحق والعمل والخير والبر والعدل والإحسان والتنافس في ذلك تحت شعار الآية القرآنية الكريمة: "يأياها الناس انا جعلناكم انا جعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم" (YDSF, 2011)

إن الرسائل السماوية واحدة والمسلمون يقرون ويحترمون بل يقدسون نبوة الأنبياء السابقين وينزهونهم من سيدنا آدم فنوح وإبراهيم وموسى وداود وسليمان وعيسى ويوشع ويوسف وغيرهم كثيرون وذلك



انطلاقاً من أركان الاسلام التي تقر بوجود الايمان بالرسول أجمعين ليقر ايمان المسلم. هذا يحيلنا الى اندماج الديانات السماوية بالمغرب خصوصاً اليهودية التي أمضت زمناً في ظل الحكم الاسلامي بالمغرب دون المساس بمقدساتها أو الاعتداء على ممثليها بل كانت فاس على سبيل المثال رمزاً للتعايش بين المسلمين واليهود لا يضاهيه الا ذاك الذي كان في الأندلس. فقد حظى هؤلاء بالاستقرار المادي والمعنوي خلال فترة استقرارهم بالبلاد وقد أشرفنا شخصياً على بعض من تاريخ التعايش بين هاتين الثقافتين المختلفتين من خلال زيارة المواقع التاريخية اليهودية بمدينة فاس والتي نظمها ماستر تحالف الحضارات وحوار الأديان تحت قيادة منسق الماستر الدكتور يونس لوليدي والأستاذة المقتدرة سناء الراشدي بتاريخ ٢٦ سبتمبر ٢٠١٧ حيث تعرفنا عن كتب عن تعايش المسلمين واليهود التي يعود تاريخ تواجدهم في المغرب إلى أكثر من ألفي عام -انطلاقاً من شرح تاريخ اليهود لأبراهيم الصباغ وهو من أصل يهودي أطر هذه الزيارة - وإلى حدود خمسينات القرن الماضي كان نحو ٢٥٠ ألف يهودي يعيش في المغرب. أما اليوم فلا يتجاوز عدد الطائفة اليهودية ثلاثة آلاف شخص يتوزعون بشكل واضح في مدن مثل فاس ومراكش والرباط والدار البيضاء... كما أضاف أن جهود المملكة المغربية ساهمت في بلورة هذا الانسجام الثقافي وذلك بدعوة الملك محمد السادس "إلى ترميم كافة المعابد اليهودية في مختلف المدن المغربية الأخرى لتصبح ليس فقط مكاناً للعبادة، وإنما أيضاً فضاء للحوار الثقافي ولإحياء القيم الحضارية للمغرب" مؤكداً على أن "التقاليد الحضارية المتأصلة للمغاربة، تستمد روحها من تشبعهم العميق بقيم التعايش والتسامح والوئام بين مختلف مكونات الأمة..". (شكيرب 2020).

أما بالنسبة للمسيحيين العابرين أو المقيمين في المغرب فقد كان لهم على الدوام الحق في إقامة شعائرهم الدينية في كنائسهم وكان من أجدادنا السلاطين من أهدى أرضاً لبناء كنيسة ما تزال مفتوحة للمصلين إلى يومنا هذا.

لقد أبان المجتمع المغربي عبر التاريخ عن حس عال من التفاهم المشترك وقبول الآخر في التزام ثابت بضرورة الحفاظ على الذاكرة المشتركة للتعايش والتساكن بين أتباع الديانات الثلاث خاصة خلال الحقبة الأندلسية. كما جاءت الزيارة الأخيرة للبابا تأكيداً على سيادة منطق التعايش الديني داخل وخارج الجغرافية الوطنية وتوضيحاً على أن المغرب له من الامكانيات الشخصية والفكرية التي تمكنه من العيش مع ديانات وثقافات مختلفة عنه. فأهل الذمة - هم اليهود والنصارى - عاشوا في الدولة المسلمة كمواطنين مكتمسين للجنسية السياسية الإسلامية ولو كانوا غير مسلمين وهو ما يعبر عنه بالمواطنة والتي تعدُّ مبدأً من مبادئ الدستور المغربي.



في هذا الاطار جاء نص الرسالة الملكية الموجهة الى المشاركين في المؤتمر الدولي لحوار الثقافات والأديان المنعقد السنة الفارطة بفاس حيث أشارت على أنه لا فرق في المغرب بين المواطنين المسلمين واليهود حيث يشارك بعضهم بعضا في الاحتفال بالأعياد الدينية. كما يؤدي مواطنونا اليهود صلواتهم في بيعهم ويمارسون شعائرهم الدينية في أمن وأمان لاسيما خلال احتفالاتهم السنوية وأثناء زياراتهم للمواقع الدينية اليهودية ويعملون مع أبناء بلدهم من المسلمين من أجل صالح وطنهم الأم.

وقد لقي أهل الزمة في المغرب من العهد والضمان والأمان لأهل الكتاب من اليهود والنصارى إقراراً لهم على دينهم مع تمتعهم بالحماية والحقوق التي يكتسبها المواطنون الآخرون من المسلمين في صيانة وحماية حقوق الإنسان وحرياته في الدين والنفس والعقل والنسل والمال وبعبارة أخرى فيما يسمى أيضاً بحقوق المواطنة إلا في المنصب الرئيس وفيما لا يمس عقيدة المسلمين أو لا يهين أو يحتقر عقيدة أهل الكتاب (محمد حس، البغا، n.d)

وكمودج لهذا التعايش بين الديانات المختلفة كان أول دستور جسد هذا المجتمع انما هو تلك الوثيقة التي اكتتبها رسول الله (ص) لإقامة نسق تعاوني بين شتى فئات الناس في المدينة المنورة الذين كانوا فيهم مسلمون وكان فيهم يهود من قبائل متنوعة وكان فيهم أشتات يسيرة من أهل الكتاب... وعندما نصغي الى هذه الوثيقة نجد أنها تعلن اعلانا صريحا وواضحا عن اقرار أصحاب هذه الآراء على آرائهم وتركهم أحرارا لما اعتنقوه من تصورات وأفكار بل نجد في بعض بنود هذه الوثيقة ما يدعو الى حماية أصحاب هذه الآراء (محمد نفسه، ١٩٩٥). اذن نحن هنا أمام برهان تاريخي على أن المجتمع الاسلامي في أبهى صورته كان يحتضن مذاهب شتى ولكن كانت الرعاية بالنسبة لهذه المذاهب للإسلام الذي يعلم الناس أن العقيدة تستقر في الفكر اختيارا ولا تلصق باللسان قهرا واجبارا وهذا ليس أمر شرعي فقط بل هو قرار منطقي أيضا يدعم حرية المعتقد وحرية الانسان في اعتناق المبدأ الذي يريد دون اكراه انطلاقا من قوله تعالى " لا اكراه في الدين " (YDSF, 2011)

الخلاصة

تعتبر التعايش والحاضري بالمغرب بالمقاربة الإجتماعية بالدراسات التي يؤطر إلى المباحث وهي الدراسات السوسيولوجية ببلد متعدّد الإثنيات. المغرب بلد متعدّد الأعراق والإثنيات وهو يزخر بثقافة متنوّعة وحضارة ثريّة. ويلبها الثقافة الشعبية بتتسم الجغرافية الثقافية المغربية بتعدد مشاربها ومنابعها الثقافية الضاربة في القدم وهي هوية انصهرت عبر الزمن لبناء هوية موحدة في التعدد. ثم الهوية الوطنية بتأكيد الدستور المغربي على أن الهوية المغربية تأخذ خمسة أبعاد وهي: البعد الإسلامي البعد العربي البعد الأمازيغي والبعد الصحراوي الحساني.



وتعتبر المقاربة اللغوية بإشكال موضوع ازدواجية اللغوية في الفضاء العمومي بالمغرب إضافة نوعية للتراث الثقافي المحلي حيث تعبر اللغة العربية واللغة الأمازيغية الازدواجية اللغوية التي تترجم الوضع اللغوي الطبيعي بالمغرب.

المقاربة الدينية بحافظ المغرب من خلال مختلف فتراته التاريخية و إلى يومنا هذا على كونه نموذج المبنى على مبادئ التعايش والتسامح حيث كرس هذا المبدأ الدستور المغربي الجديد الذي تمت المصادقة عليه عام ٢٠١١. وتتطور بثلاثة المباحث أولا حظي المركز الديني العقدي ممثلا في الاسلام بمكانة مهمة في تصدير الدستور. ثانيا وبغض النظر عن جانب المشروع السياسية فيه. وثانيا انتفاء طابع القداسة عن بنية الوثيقة الدستورية من خلال التحول الملحوظ من مضمون الفصل الثالث والعشرين من دستور ١٩٩٦ إلى مضمون الفصل السادس ولأربعين في الدستور الحالي. وثالثا تمييز الدستور المغربي في ديباجته بين المراكز الأساسية للهوية المغربية.

المراجع

- YDSF, T. P. (2011). *Al-Qur'an dan Terjemahnya*. Yayasan YDSF.
- المؤلف. (٢٠١٥). الهوية الوطنية في الوثيقة الدستورية رصد ومقارنة أولية لمظاهر التطور بين دستور سنة ١٩٩٦ و ٢٠١١. مجلة أسيناك، ١٠.
- المؤلف، ج. (٢٠١٧). محاور المرجعيات والفكر والثقافة والاعلام والانسية المغربية والتنوع الثقافي، منشورات المركز العام لحزب الاستقلال.
- دويدة، & نفيسة. (٢٠١٥). المعتقدات والطقوس الخاصة بالأضرحة في الجزائر خلال الفترة العثمانية. *Revue Algérienne d'anthropologie et de Sciences Sociales*, 68, 11-34.
- سعدية، ب. د. (٢٠١٨). التسامح: في مفهومه ووظيفته الإيتيقية. *التواصلية*, ٥ (١), ١٥٦-١٧٦.
- شكيرب، آ. (٢٠٢٠). الحوار بين الائتمانية والأخلاق العالمية: مقارنة تحليلية مقارنة *In Islamic Ethics and the Trusteeship Paradigm: Taha Abderrahmane's Philosophy in Comparative Perspectives* (pp. 315-342). Brill.
- محمد جودات. (٢٠١٢). الثقافة الشعبية المغربية. مجلة الثقافة الشعبية، ١٢.
- محمد حس، البغا. (n.d.). مفهوم التعايش وضروراته ومبادئه بين المسلمين وغيرهم.
- محمد نفسة. (١٩٩٥). الحوار سبيل التعايش مع التعدد والاختلاف. دار الفكر المعاصر.
- مختار، ع. (٢٠٢٠). التعايش الحضاري في الإسلام و انعكاساته الاجتماعية و الاقتصادية: الدولة الرسمية



APHORISME

Journal of Arabic Language, Literature, and Education

Vol. 2, No. 1 (2021) E-ISSN 2722-6794; P-ISSN 2722-6786

Aphorisme@insuriponorogo.ac.id

Homepage: <https://ejournal.insuriponorogo.ac.id/index.php/Aphorisme>

أنموذجا. قضايا تاريخية, ٣ (٢), ٢٢-٣٦.